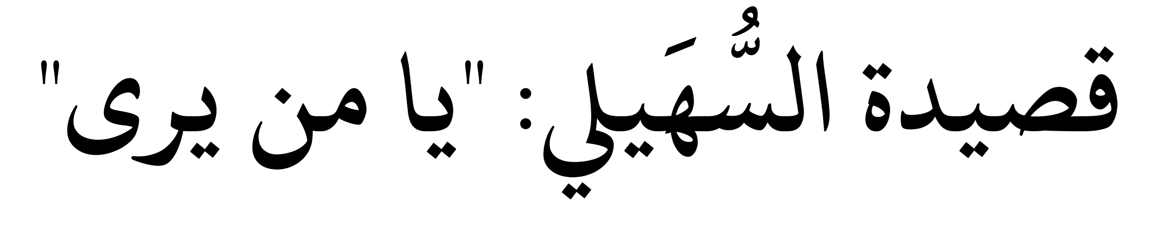
قصيدة السُّهَيلي: "يا من يرى"

وتخميسُها



ويقول مما جرب في الشدائد والكرب

يا من يرى ما في الضمير ويسمع • انت المعدّ لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها • يا من اليه المشتكا والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن • امنن فان الخير عندك اجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلة • وبالافتقار اليك فقري ادفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة • ولئن رددت فاي باب اقرع
ومن الذي ادعو واهتف باسمه • ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك ان يقنط عاصيا • الفضل اجزل والمواهب اوسع

إعداد:

ضياء الدّين جعرير

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

أمّا بعد:

فإنّ للعِباد من العامّة أو العُبّاد الزّهاد على مرّ العصور أحوالًا، يتضرّعون فيها إلى ربّ العالمين لكشف الكربة، وَثَّق التّراث الكثير من هذه القصص والأخبار في مؤلّفات خاصة منها: «الفرج بعد الشّدّة» لابن أبي الدّنيا (ت: ٢٨١)، وبالعنوان نفسه للتّنوخي (ت: ٣٨٤)، و«الأرج في الفرج» للسّيوطي (ت: ٩١١) -وهو تلخيص لكتاب ابن أبي الدّنيا وزيادة عليه-، ومنها أخبارٌ مُتناثِراتٌ في بطون كتب التّاريخ، والطّبقات، والتّراجم، والأذكار، والمواعظ وغيرها.

واجتمعت هذه الأخبار على موضوع التضرّع والتذلّل والافتقار لله تعالى، وفي ما يلي قصيدةٌ للحافظ أبي القاسم السُّهَيلي (ت: ٥٨١) رحمه الله تُشكّل حلقة في منظوم هذا العقد، أقوم بعرضها وعرض تخميسٍ لها لتكون مُيَسّرةً لمن أراد أن يقف عليها مُفردةً.

التعريف بالحافظ السّهيلي[١]:

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخَثْعَمِي -من ولد أبي رُوَيْحَةَ الخثعمي الذي عقد له رسول الله ﷺ لواء عام الفتح- السُّهَيْلي[٢] المالَقِي[٣] الأندلسي، أبو القاسم وأبو زيد، المالكي، ولد سنة ثمانٍ وخمسمئة، ونشأ بمالقة، وأصيب بالعمى وهو ابن سبع عشرة سنة، قرأ القرآن وسمع الحديث بمالَقة، وقُرْطُبة[٤]، وإشْبِيلْيَة[٥]، وأخذ عن علماء كأبي بكر ابن العربي، ورحل إلى مراكش بالمغرب بطلب من صاحبها، فأقام بها إلى أن توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمئة، ودفن بها، أخذ عنه عدّة؛ منهم ابن دحية الكلبي، وترك مؤلّفات أبرزها: «الرّوض الأنف» في شرح سيرة ابن هشام، «التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام»، «الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين».

---

[١] ترجمته في: المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية، (ص: ٢٣٠)، بغية الملتمس للضّبّي، (ص: ٣٦٧)، إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي، (٢/ ١٦٢)، وفيات الأعيان لابن خَلّكان، (٣/ ١٤٣)، الأعلام للزركلي: (٣/ ٣١٣).

[٢] معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٣/ ٢٩١).

[٣] المرجع السّابق: (٥/ ٤٣).

[٤] المرجع السّابق: (٤/ ٣٢٤).

[٥] المرجع السّابق: (١/ ١٩٥).

منزلة القصيدة:

حظيت هذه القصـــيدة بمنزلة رفيعة، فقد طُرِّزَت بها المجالس؛ جاء في «التّدوين في أخبار قزوين» لأبي القاســم الرّافعي (٣/ ١٤) عن ابن دحية أنّه: "أملى بالرّي سنة سبع وتسعين وخمسمئة في السابع من رمضانها أنشدنا الإمام الحافظ أبو القا سم عبد الرحمن بن أبي الحـ سين الخثعمي لنفـ سه وذكر لي أنه ما سأل الله تعالى بها حاجة إلا أعطاه -وقد جربتها فوجدتها كذلك-:

يا من يرى ما في الضّمير ويسمع   أنـت ا لمعـدُّ لكلّ مـا يـتوقّع"

وضـــمّـها بعض العلماء إلى كتبهم كالسّـــخاوي في كتا به: «التّوجه إلى الرّب بدعوات الكرب» - خ[1]:

ويقول ما جربت في الشدائد والكرب

يا من يرى ما في الضمير ويسمع • انت المعدّ لكلّ ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها • يا من اليه المشتكا والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن • امنن فان الخير عندك اجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلة • وبالافتقار اليك فقري ادفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة • ولئن رددت فاي باب اقرع
ومن الذي ادعو واهتف باسمه • ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك ان يقنط عاصيا • الفضل اجزل والمواهب اوسع

---

(١) مكتبة آيا صوفيا: (١٧٤٣/ ١)، وانظر: مؤلّفات السّخاوي، أبو عبيدة مشهور حسن آل سلمان وأبو حذيفة أحمد الشقيرات، (ص: ٧٦).

وكذا جعلها بعض المتصوّفة ضمن أورادهم فقد جاء في ترجمة يحي بن موسى الأردبيلي من «الكواكب السّائرة» (٢/ ٢٥٦) أنه: "جعل من جملة أوراده أبيات السهيلي التي أولها: يا من يرى ما في الضمير ويسمع"، **ومما يُؤكّد هذه المنزلة** كثرة إيراد العلماء لها، وتخميس بعض الشعراء لها كما سيأتي إن شاء الله، وممّا يدلّ كذلك على منزلتها ما أورده السّيوطي في «بغية الوعاة» (٢/ ٨٢) قال: "رأيت بخط القاضي عز الدين بن جماعة: وُجِد بخطّ الشيخ محيي الدين النواوي ما نصّه: "ما قرأ أحد هذه الأبيات، ودعا الله تعالى عقبها بشيء إلا استجيب له""[1].

كُتُبٌ أوردت القصيدة: (غالبًا في ترجمة السّهيلي)

- المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية (ص: ٢٣٠).
- التّدوين في أخبار قزوين لأبي القاسم الرّافعي (٣/ ١٤).
- وفيات الأعيان لابن خَلّكان (٣/ ١٤٣).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي (٣/ ٣٢٠).
- الوافي بالوفيات للصّفدي (١٨/ ١٠٢).

[1] والظّاهر أنّ هذا بسبب ما يقوم بالإنسان من اضطرار وتضرّع حال دعائه وتدبّره في معاني هذه القصيدة، وليس مجرّد اختصاص لها أو لرسمها، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

- نكث الهميان للصّفدي: (١/ ١٦٩).

- البداية والنّهاية لابن كثير (١٦/ ٥٧٥).

- الديباج المذهب لابن فرحون (١/ ٤٨٠).

- شذرات الذّهب لابن العماد (١/ ٤٦).

- التّوجه إلى الرّب بدعوات الكرب للسّخاوي - خ: ق٤/ب.

- بغية الوعاة للسّيوطي (٢/ ٨١).

القصيدة: [من بحر الكامل]

يا من يرى ما في الضّمير ويسمع   أنت المعدُّ لكلّ ما يتوقّع

يا من يُرَجَّى للشّدائد كُلِّها   يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه في قول كن   امنن فإنّ الخيرَ عندك أجمع

ما لي سوى فقري إليك وسيلةٌ   فبالافتقار إليك فقري أدفع

ما لي سوى قرعي لبابك حيلةٌ   فلئن رددت فأيَّ بابٍ أقرع

ومن الّذي أدعو وأهتف باسمه   إن كان فضلُك عن فقيرٍ يُمنع

حاشا لمجدك أن تُقَنِّط عاصيًا   الفضل أجزل والمواهب أوسع

مسألةٌ نحوية:

قال ابن دحية: " أما رفع "أجمعُ" في هذا البيت، فيجوز أن يكون توكيدا لمكان إنّ الابتدائية، إذ موضعها الابتداء، وهي مؤكدة للجملة، لم تغير معناها وإن غيرت لفظها، ألا تراهم قد عطفوا على اسمها بالرفع، وهو إذا استوفت

خبرها، نحو: إن زيداً قائم وعمرو، وإذا لم تستوف خبرها فلا يجيز البصريون ذلك، وذلك أنّك إذا قلت: إنك وزيد قائمان، وجب أن يكون زيد مرفوعا بالابتداء، ويكون عاملًا في خبر زيد، وإنّ عاملة في خبر الكاف. ولا يجوز اجتماع عاملين على معمول واحد، وأما الكوفيون فاختلفوا، فذهب الكسائي إلى جواز ذلك مطلقا، سواء تبين عمل إنَّ أو لم يتبين، نحو: إن زيداً وعمرو قائمان، وإنه وبكر منطلقان، واستدل بقوله جلّ وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ [المائدة: ٦٩] فعطف ورفع، وذهب الفرّاء إلى أنه لا يجوز العطف إلا على ما لا يبين فيه العمل، نحو: إنك وزيد ذاهبان، لأنه بعدم التأثير ضعفت، فجاز العطف كما لو كان على المبتدأ. وإذا كان كذلك جاز أيضا توكيد الموضع بالرفع، والله أعلم."[١]

وقال اليافعي: " قوله: فإن الخير عندك أجمع: يحتاج إلى تأويل في إعرابه، والإلزم أن يكون من الإقواء المعيب في الشعر، فإن أجمع تأكيد للخير وهو منصوب فيكون منصوباً"[٢]

[١] المطرب، ابن دحية، ص: (٢٣٤-٢٣٥).

[٢] مرآة الجنان، اليافعي، (٣/ ٣٢٠).

تخميس القصيدة:

كأيّ قصـــيدة راجت وانتشرــت بين أهل العلم وطلابه ظفرت هذه القصيدة بتخميسات، وممّن خمّسها: عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الطرخاني، تاج الدّين أبو نصر- ابن عربشــاه[١]، ت: ٩٠١ هـ، قال السّــخاوي: "وخمّس أبيات السّــهيلي: يا من يرى ما في الضــمير ويســمع"، ويبدو أنّها خُمّســت من أكثر من شاعر على طريقة القصائد الرّائجة، وفيما يلي تخميسٌ وقفت عليه أثناء فهرستي لمجموع بمكتبة الغازي خسرــو بك بسرــاييفو -البوســنة- كان هو ســبب استنهاض الهمّة لجمع هذا المقال ونشر القصيدة مع تخميسها.

بيانات المخطوط:

المؤلف: غير مذكور[٢].

الموضوع: الشعر، المناجاة.

تاريخ التأليف: غير متوفر

الناسخ: غير مذكور؛ تاريخ النسخ: غير متوفر؛ القرن الحادي أو الثاني عشر للهجرة تقديرًا

عدد الأوراق: ٢؛ **المسطرة**: ١٥؛ **المقاس**: ٢٠,٥ سم × ١٤ سم

---

[١] الضّوء اللّامع، السّخاوي، (٥/ ٩٧)، الأعلام، الزركلي، (٤/ ١٨٠).

[٢] قد يكون هذا هو تخميس ابن عربشاه المذكور آنفًا، ولكن لا دليل أو قرينة خارجية تدلّ على ذلك.

المساحة المكتوبة: ١٥ سم × ٥,٩ سم

الخط: نسخي، واضح؛ **لون الحــبر**: أسود

التجليد: تجليد سختياني

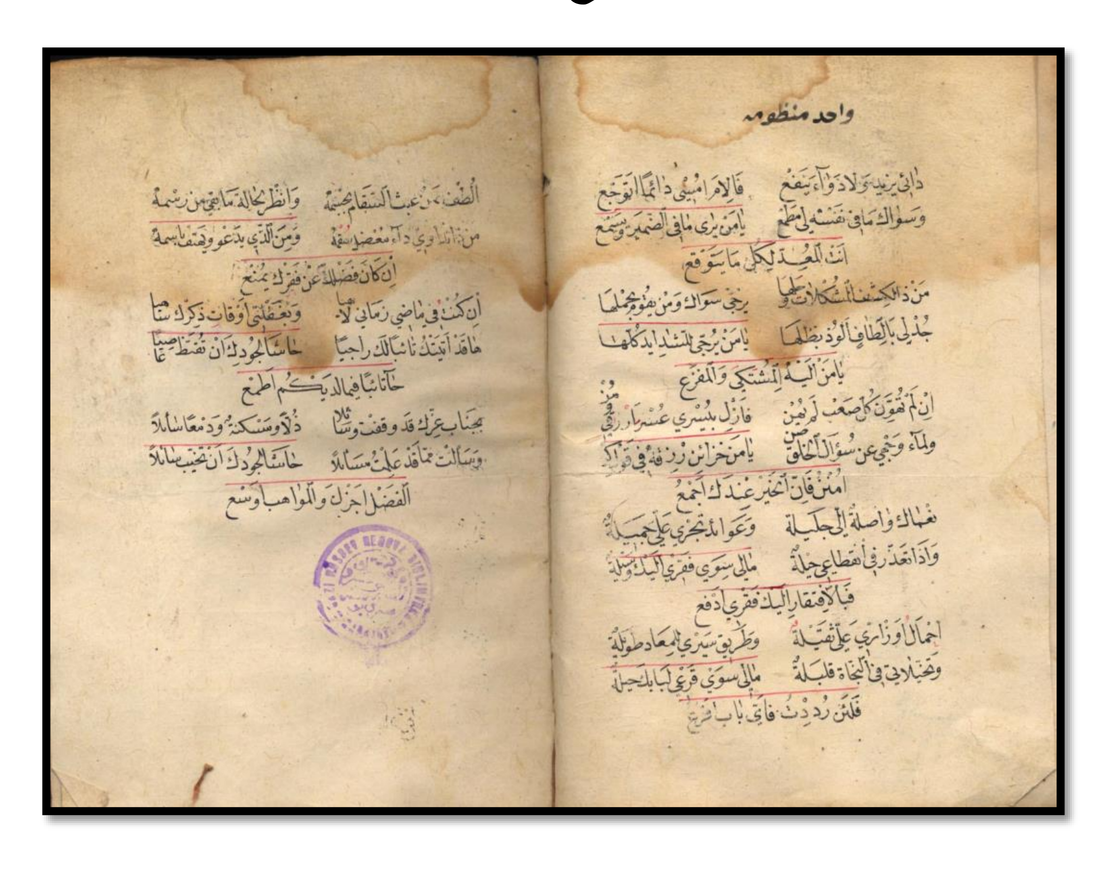
التوثيق: فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة الغازي خسروبك في سراييفو، ج: ٤، ص: ٩٣.

حالة المخطوط المادية: أثرت عليها الرطوبة، كاملة.

ملاحظات وتعليقات: تخميس لقصيدة الحافظ أبي القاسم عبد الرحمن السهيلي ت: ٥٨١ هـ: يا من يرى ما في الضّ مير ويسمع.

رقم الحفظ: ٥٨٦٧/٥/٤٠ب-٤١أ؛ **رقم القرص المرن**: ١٨٩

صورة لوح التّخميس:



واحد منظومه

ذا لي يزيد ولا دواء ينفع   فالام امسي دائما اتوجع
وسواك ما في نفسه لي مطمع   يا من يرى ما في الضمير ويسمع
انت المعد لكل ما يتوقع

من ذا لكشف المشكلات وحلها   يرجى سواك ومن يقوم بحملها
جد لي بألطاف الوداد بطلها   يا من يرجى للشدائد كلها
يا من اليه المشتكى والمفزع

ان لم تهون كل صعب لم يهن   فازل بيسري عسر ما
ولماء وجهي عن سؤال الخلق صن   يا من خزائن رزقه في قول كن
امنن فان الخير عندك اجمع

نعماك واصلة الي جليلة   وعوائد تجري علي جميلة
واذا تعذر في اقتطاعي حيلة   مالي سوى فقري اليك وسيلة
فبالافتقار اليك فقري ادفع

اجمال اوزاري علي ثقيلة   وطريق سيري للمعاد طويلة
وتخيلاتي في النجاة قليلة   مالي سوى قرعي لبابك حيلة
فلئن رددت فاي باب اقرع

الطف بمن عبث السقام بجسمه   وانظر لحالة ما بقي من رسمه
من ذا اداوي داء معضل سقمه   ومن الذي ادعو واهتف باسمه
ان كان فضلك عن فقيرك يمنع

ان كنت في ماضي زماني لاهيا   وبغفلتي اوقات ذكرك ساهيا
ها قد اتيتك تائبا لك راجيا   حاشا لجودك ان تقنط عاصيا
حاتائبا فيما لديكم اطمع

بجناب عزك قد وقفت وسائلا   ذلا ومسكنة ودمعا سائلا
وسألت مما قد علمت مسائلا   حاشا لجودك ان تخيب سائلا
الفضل اجزل والمواهب اوسع

نصّ التّخميس[1]:

دائي يــزيــد ولا دواءٌ يــنــفــع   فــإلام أمسيــ دائــمًــا أتــوجّــع
وســـواك ما في نفســـه لي مطمع   يا من يرى ما في الضّمير ويسمع
أنت المُعدّ لكلّ ما يُتَوقّع

من ذا لكشــف المشــكلات وحلّها   يُرجى ســـواك ومن يقوم بحملها
جُـدْ لي بـألطـافٍ ألوذ بظلِّها   يــا من يُرَجّى للشّـــدائـد كُلّهـا
يا من إليه المشتكى والمفزع

إن لم تُهَوّن كلّ صــعبٍ لم يهُن   فأَزِل بيُسري عُسْرًا ارزُقني وَمُن[2]
ولماء وجهي عن سؤال الخلق صُن   يا من خزائن رزقه في قول كن
امنن فإنّ الخير عندك أجمع

نُعمَـاك واصـــلــةٌ إليّ جليلـةٌ   وعــوائــدٌ تجـري عليّ جمــيــلــةٌ
وإذا تعـذّر في انقطـاعي حيلـةٌ   ما لي ســوى فقري إليك وســيلةٌ
فبالافتقار إليك فقريَ أدفع

---

[1] "التخميس: هو أن يُقدّم الشّـــاعر على البيت من شـــعر غيره ثلاثة أشـــطر على قافية الشّطر الأول، فتصير خمسة أشطر؛ ولذا سُمّي تخميسًا." ميزان الذّهب في صناعة شعر العرب، السيد أحمد الهاشمي، ص: ١٥٦، وقد ميزت أشطار قصيدة السّهيلي باللون الأحمر.

[2] كذا في المخطوط، والمعنى فيه إغلاق، وقد اقترح أحد الأحبة أن تكون: "فأزل بيسرك عسْرًا ارّقني ومُن"، فالله أعلم بحقيقة الحال.

أحْمـالُ أوزاري عليّ ثـقـيـلـةٌ وطريق سـيري للمعاد طويلةٌ

وتخيُّلاتي[1] في النّجاة قليلةٌ ما لي سـوى قرعي لبابك حيلةٌ

فلئن رُدِدت فأيّ بابٍ أقرع

الطُف بمن عبث السّقام بجسمه وانظر لحالة ما بقي من رسـمه

من ذا يُداوي داءَ معضلِ سقمه ومن الّذي يدعو ويهتف باسمه

إن كان فضلك عن فقيرك يمنع

إن كنتُ في ماضي زماني لاهيًا وبغفلتي أوقات ذكرك ساهيًا

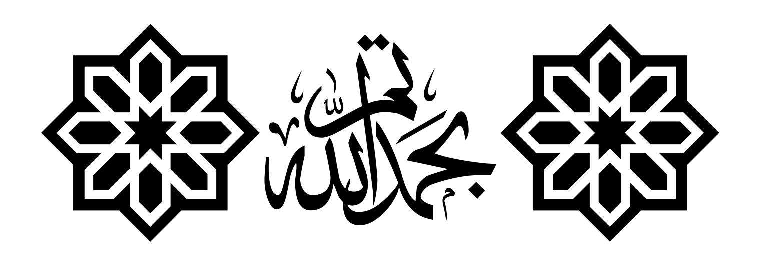
ها قد أتيتك تائبًا لك راجيًا حاشـا لجودك أن تُقنّط عاصيًا

جا تائبًا فيما لديكم أطمع

بجناب عزّك قد وقفت وسـائلًا ذُلًّا ومسـكنةً ودمعًا سـائلًا

وسـألت ممّا قد علمت مسائلًا حاشـا لجودك أن تُخيّب سـائلًا

الفضل أجزل والمواهب أوسع



---

[1] كذا في المخطوط، واقترح المحبّ السّابق، والصّديق الصّادق أن تكون هنا: "وتحيّلاتي"، اقتباسا من المعنى المشهور: لا حيلة لفلان في النّجاة.

كشّاف المصادر والمراجع:

- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، ط: ١٥، ٢٠٠٢ م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

- البداية والنّهاية، إسماعيل بن عمر، ابن كثير، ت: التركي، ط: ١، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م، دار هجر، مصر.

- التّدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم بن محمّد، أبو القاسم الرّافعي، ت: عزيز الله العطاردي، د.ط، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٧ م، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

- التّوجه إلى الرّب بدعوات الكرب، محمد بن عبد الرّحمن السّخاوي، رسالة ضمن مجموع مخطوط بمكتبة آيا صوفيا بالسليمانية، برقم: ١٧٤٣.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي، ابن فرحون، ت: محمد الأحمدي أبو النّور، د. ط، د. ت، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، مصر.

- الضّوء اللّامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرّحمن السّخاوي، د. ط، د. ت، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

- الكواكب السّائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدّين الغزّي، ت: خليل المنصور، ط: ١، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

- المطرب من أشعار أهل المغرب، عمر بن حسن، أبو الخطّاب ابن دحية الكلبي، ت: إبراهيم الأبياري وآخرَيْن، د.ط، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان.

- الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصّفدي، ت: أحمد الأرناءوط، وتركي مصطفى، د. ط، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، دار إحياء التّراث، بيروت، لبنان.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢ م، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى، أبو جعفر الضّبي، د.ط، ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، د. ت، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

- شذرات الذّهب، عبد الحي بن أحمد، ابن العماد الحنبلي، ت: محمود الأرناءوط، ط: ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان.

- فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة الغازي خسروبك في سراييفو (الجزء الرّابع)، فهيم ناميتاك، د. ط، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، بريطانيا، رئاسة الجماعة الإسلامية في البوسنة والهرسك، سراييفو، البوسنة.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله ابن أ سعد، عفيف الدّين اليافعي، ت: خليل المنصور، ط: ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط: ٢، ١٩٩٥م، دار صادر، بيروت، لبنان.

- مؤلّفات السّخاوي، أبو عبيدة مشهور حسن آل سلمان وأبو حذيفة أحمد الشقيرات، ط: ١، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- ميزان الذّهب في صناعة شعر العرب، السيد أحمد الهاشمي، ت: علاء الدين عطية، ط: ٣، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، مكتبة دار البيروتي.

- نكث الهميان في نكت العميان، خليل بن أيبك الصّفدي، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط: ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أحمد بن محمد، ابن خَلّكان، ت: إحسان عبّاس، ط: ٠، ١٩٠٠ م، دار صادر، بيروت، لبنان.